فرسان بالنهار رهبان بالليل

(7)

طلحة بن عبيد الله

صقر يوم أحد

رضي الله عنه وأرضاه

طَلْحَةُ بنُ عُبَيْد الله بن عُثْمَانَ بن عَمْرٍو التَّيْمِيّ

أَحَدُ العَشَرَة المَشْهُوْد لَهُم بِالجَنَّة، لَهُ عدَّةُ أَحَادِيْثَ عَنِ النَّبِيِّ

كَانَ مِمَّنْ سَبَقَ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأُوْذِيَ فِي الله، ثُمَّ هَاجَرَ، فَاتَّفَقَ أَنَّهُ غَابَ عَنْ وَقْعَة بَدْرٍ فِي تِجَارَةٍ لَهُ بِالشَّامِ، وَتَأَلَّمَ لِغَيْبَتِهِ، فَضَرَبَ لَهُ رَسُوْلُ الله بسَهْمه، وَأَجره.

كَانَتْ يَدُهُ شَلاَّءَ مِمَّا وَقَى بِهَا رَسُوْلَ الله يَوْمَ أُحُدٍ

قال تعالى :

}مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا{ الأحزاب / 23

تلا الرسول هذه الآية الكريمة، ثم استقبل وجوه أصحابه، وقال وهو يشير الى طلحة :

"مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيْدٍ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْهِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بنِ عُبَيْد الله !!.."

ولم تكن ثمة بشرى يتمنّاها أصحاب رسول الله ، وتطير قلوبهم شوقا اليها أكثر من هذه التي قلّدها النبي طلحة بن عبيد الله..

لقد اطمأن اذن الى عاقبة أمره ومصير حياته.. فسيحيا، ويموت، وهو واحد من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ولن تناله فتنة، ولن يدركه لغوب ..

ولقد بشّره الرسول بالجنة، فماذا كانت حياة هذا المبشّر الكريم..؟؟

لقد كان في تجارة له بأرض بصرى حين لقي راهبا من خيار رهبانها، وأنبأه أن النبي الذي سيخرج من بلاد الحرم، والذي تنبأ به الأنبياء الصالحون قد أهلّ عصره وأشرقت أيامه..

وحرّ طلحة أن يفوته موكبه، فانه موكب الهدى والرحمة والخلاص..

وحين عاد طلحة الى بلده مكة بعد شهور قضاها في بصرى وفي السفر، الفى بين أهلها ضجيجا .. وسمعهم يتحدثون كلما التقى بأحدهم، أو بجماعة منهم عن محمد الأمين .. وعن الوحي الذي يأتيه .. وعن الرسالة التي يحملها الى العرب خاصة، والى الناس كافة..

وسأل طلحة أول ما سأل أبي بكر فعلم أنه عاد مع قافلته وتجارته من زمن غير بعيد، وأنه يقف الى جوار محمد مؤمنا منافحا، أوّابا..

وحدّث طلحة نفسه : محمد، وأبو بكر..؟؟

تالله لا يجتمع الاثنان على ضلالة أبدا!!.

ولقد بلغ محمد الأربعين من عمره، وما عهدنا عليه خلال هذا العمر كذبة واحدة.. أفيكذب اليوم على الله، ويقول : أنه أرسلني وأرسل اليّ وحيا..؟؟

وهذا هو الذي يصعب تصديقه ..

وأسرع طلحة الخطى ميمما وجهه شطر دار أبي بكر..

ولم يطل الحديث بينهما، فقد كان شوقه الى لقاء الرسول ومبايعته أسرع من دقات قلبه..

فصحبه أبو بكر الى الرسول عليه الصلاة والسلام، حيث أسلم وأخذ مكانه في القافلة المباركة..

وهكذا كان طلحة من المسلمين المبكرين.

وعلى الرغم من جاهه في قومه، وثرائه العريض، وتجارته الناجحة فقد حمل حظه من اضطهاد قريش، اذ وكل به وب أبي بكر نوفل بن خويلد ، وكان يدعى أسد قريش ، بيد أن اضطهادهما لم يطل مداه، اذ سرعان ما خجلت قريش من نفسها، وخافت عاقبة أمرها..

وهاجر طلحة الى المدينة حين أمر المسلمون بالهجرة، ثم شهد المشاهد كلها مع رسول الله عدا غزوة بدر، فان الرسول كان قد ندبه ومعه سعيد بن زيد لمهمة خارج المدينة..

ولما أنجزاها ورجعا قافلين الى المدينة، كان النبي وصحبه عائدين من غزوة بدر، فآلم نفسيهما أن يفوتهما أجر مشاركة الرسول بالجهاد في أولى غزواته..

بيد أن الرسول أهدى اليهما طمأنينة سابغة، حين انبأهما أن لهما من المثوبة والأجر مثل ما للمقاتلين تماما، بل وقسم لهما من غنائم المعركة مثل من شهدوها..

وتجيء غزوة أحد لتشهد كل جبروت قريش وكل بأسها حيث جاءت تثأر ليوم بدر وتؤمّن مصيرها بانزال هزيمة نهائية بالمسلمين، هزيمة حسبتها قريش أمرا ميسورا، وقدرا مقدورا..!!

ودارت حرب طاحنة سرعان ما غطّت الأرض بحصادها الأليم.. ودارت الدائرة على المشركين..

ثم لما رآهم المسلمون ينسحبون وضعوا أسلحتهم، ونزل الرماة من مواقعهم ليحوزوا نصيبهم من الغنائم..

وفجأة عاد جيش قريش من الوراء على حين بغتة، فامتلك ناصية الحرب زمام المعركة..

واستأنف القتال ضراوته وقسوته وطحنه، وكان للمفاجأة أثرها في تشتيت صفوف المسلمين..

وأبصر طلحة جانب المعركة التي يقف فيها رسول الله ، فألفاه قد صار هدفا لقوى الشرك والوثنية، فسارع نحو الرسول ..

وراح رضي الله عنه يجتاز طريقا ما أطوله على قصره..! طريقا تعترض كل شبر منه عشرات السيوف المسعورة وعشرات من الرماح المجنونة !!

ورأى رسول الله من بعيد يسيل من وجنته الدم و يتحامل على نفسه، فجنّ جنونه، وقطع طريق الهول في قفزة أو قفزتين وأمام الرسول وجد ما يخشاه.. سيوف المشركين تلهث نحوه، وتحيط به تريد أن تناله بسوء ..

ووقف طلحة كالجيش اللجب، يضرب بسيفه البتار يمينا وشمالا..

ورأى دم الرسول الكريم ينزف، وآلامه تئن، فسانده وحمله بعيدا عن الحفرة التي زلت فيها قدمه..

كان يساند الرسول عليه الصلاة والسلام بيسراه وصدره، متأخرا به الى مكان آمن، بينما بيمينه، بارك الله يمينه، تضرب بالسيف وتقاتل المشركين الذين أحاطوا بالرسول ، وملؤا دائرة القتال مثل الجراد..!!

ولندع الصدّيق أبا بكر رضي الله عنه يصف لنا المشهد ..

تقول عائشة رضي الله عنها :

"كان أبو بكر اذا ذكر يوم أحد يقول : ذلك كله كان يوم طلحة.. كنت أول من جاء الى النبي ، فقال لي الرسول ولأبي عبيدة بن الجرّاح : دونكم اخاكم.. ونظرنا واذا به بضع وسبعون بين طعنة.. وضربة ورمية.. واذا أصبعه مقطوع. فأصلحنا من شانه. "

وفي جميع المشاهد والغزوات، كان طلحة في مقدّمة الصفوف يبتغي وجه الله، ويفتدي راية رسوله .

ويعيش طلحة وسط الجماعة المسلمة، يعبد الله مع العابدين، ويجاهد في سبيله مع المجاهدين، ويرسي بساعديه مع سواعد اخوانه قواعد الدين الجديد الذي جاء ليخرج الناس من الظلمات الى النور..

فاذا قضى حق ربه، راح يضرب في الأرض، ويبتغي من فضل الله منمّيا تجارته الرابحة، وأعماله الناجحة.

فقد كان طلحة رضي الله عته من أكثر المسلمين ثراء، وأنماهم ثروة..

وكانت ثروته كلها في خدمة الدين الذي حمل مع رسول الله رايته...

كان ينفق منها بغير حساب..

وكان الله ينمّيها له بغير حساب !

لقد لقّبه رسول الله بـ طلحة الخير ، وطلحة الجود، وطلحة الفيّاض اطراء لجوده المفيض.

وما أكثر ما كان يخرج من ثروته مرة واحدة، فاذا الله الكريم يردها اليه مضاعفة.

عَنْ طَلْحَةَ بنِ يَحيى، حَدَّثَتْني جَدَّتي سُعْدَى بِنْتُ عَوْفٍ المُرِّيَّةُ، قَالَتْ :

دَخَلْتُ عَلَى طَلْحَةَ يَوْماً وَهُوَ خَاثِرٌ.

فَقُلْتُ: مَا لَكَ، لَعَلَّ رَابَكَ مِنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ؟

قَالَ: لاَ وَاللهِ، وَنِعْمَ حَلِيْلَةُ المُسْلِمِ أَنْتِ، وَلَكِنْ مَالٌ عِنْدِي قَدْ غَمَّنِي .

فَقُلْتُ: مَا يَغُمُّكَ؟ عَلَيْكَ بِقَوْمِكَ.

قَالَ: يَا غُلاَمُ ! ادْعُ لِي قَوْمِي، فَقَسَّمَهُ فِيْهِم .
فَسَأَلْتُ الخَازِنَ: كَمْ أَعْطَى؟
قَالَ: أَرْبَعَ مَائَة أَلْفٍ .
عَنْ جَابِرٍ، قَالَ :
لَمّا كَانَ يَوْمُ أُحُد، وَوَلّى النّاسُ، كَانَ رَسُوْلُ الله
فِي نَاحِيَةٍ، فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً، مِنْهُم طَلْحَةُ، فَأَدْرَكَهُمُ المُشْرِكُوْنَ.
فَقَالَ النّبِيُّ) : مَنْ لِلْقَوْمِ؟ .(
قَالَ طَلْحَةُ : أَنَا.
قَالَ : (كَمَا أَنْتَ .(
فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا.
قَالَ : (أَنْتَ .(
فَقَاتَلَ حَتّى قُتِلَ، ثُمّ الْتَفَتَ، فَإِذَا المُشْرِكُوْنَ.
فَقَالَ : (مَنْ لَهُمْ؟ .(
قَالَ طَلْحَةُ: أَنَا.
قَالَ : (كَمَا أَنْتَ).
فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا.
قَالَ : (أَنْتَ .(
فَقَاتَلَ حَتّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتّى بَقِيَ مَعَ نَبِيِّ اللهِ طَلْحَةُ.
فَقَالَ : (مَنْ لِلْقَوْمِ؟ .(
قَالَ طَلْحَةُ: أَنَا.
فَقَاتَلَ طَلْحَةُ قِتَالَ الأَحَدَ عَشَرَ، حَتّى قُطِعَتْ أَصَابِعُهُ.
فَقَالَ : حَسٍّ.
فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ) : لَوْ قُلْتَ : بِاسْمِ اللهِ، لَرَفَعَتْكَ المَلاَئِكَةُ وَالنّاسُ يَنْظُرُوْنَ .(
ثُمّ رَدَّ اللهُ المُشْرِكِيْنَ .

قالوا عنه

يصف جابر بن عبدالله جود طلحة فيقول :
"ما رأيت أحد اعطى لجزيل مال من غير مسألة، من طلحة بن عبيد الله."
وكان أكثر الناس برّا بأهله وبأقربائه، فكان يعولهم جميعا على كثرتهم..
وقد قيل عنه في ذلك :
.."كان لا يدع أحدا من بني تيم عائلا الا كفاه مؤنته، ومؤنة عياله..
وكان يزوج أيامهم، ويخدم عائلهم، ويقضي دين غارمهم.."
ويقول السائب بن زيد :
"صحبت طلحة بن عبيدالله في السفر والحضر فما وجدت أحدا، أعمّ سخاء على الدرهم، والثوب والطعام من طلحة
"..!!
رضي الله عن طلحة..
"مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيْدٍ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْهِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ اللهِ"
رسول الله
طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ جَارَايَ فِي الجَنّةِ
رسول الله
ذلك كله يوم طلحة
أبو بكر الصديق عن غزوة أحد
كنت أول من جاء إلى النبى - يوم أحد- فقال لى الرسول ولأبى عبيدة بن الجراح : دُونكم أخاكم.. ونظرنا،

وإذا به -أى طلحة- بضع وسبعون طعنة وضربة رمح ورمية وإذا أُصبعه مقطوعة.. فأصلحنا من شأنه

أبو بكر الصديق

"لَوْ قُلْتَ : بِاسْمِ الله، لَرَفَعَتْكَ المَلاَئِكَةُ وَالنّاسُ يَنْظُرُوْنَ"

رسول الله على جاره في الجنة ..

موقعة الجمل

لَمّا خَرَجَ طَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَعَائِشَةُ لِلطّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ، عَرّجُوا عَنْ مُنْصَرَفِهِمْ بِذَاتِ عِرْقٍ، فَاسْتَصْغَرُوا عُرْوَةَ بنَ الزُّبَيْرِ ، وَ أَبَا بَكْرِ بنِ عَبْدِ الرّحْمنِ ، فَرَدُّوهُمَا.

قَالَ : وَرَأَيْتُ طَلْحَةَ ، وَأَحَبُّ المَجَالِسِ إِلَيْهِ أَخْلاَهَا، وَهُوَ ضَارِبٌ بِلِحْيَتِهِ عَلَى زَوْرِهِ،

فَقُلْتُ:

يَا أَبَا مُحَمّدٍ ! إِنّي أَرَاكَ وَأَحَبُّ المَجَالِسِ إِلَيْكَ أَخْلاَهَا، إِنْ كُنْتَ تَكْرَهُ هَذَا الأَمْرَ فَدَعْهُ .

فَقَالَ: يَا عَلْقَمَةَ ! لاَ تَلُمْنِي، كُنّا أَمْسِ يَداً وَاحِدَةً عَلَى مَنْ سِوَانَا، فَأَصْبَحْنَا اليَوْمَ جَبَلَيْنِ مِنْ حَدِيْدٍ، يَزْحَفُ أَحَدُنَا إِلَى صَاحِبِهِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مِنّي شَيْءٌ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ مِمّا لاَ أَرَى كَفّارَتَهُ إِلاّ سَفْكَ دَمِي، وَطَلَبَ دَمِه.

والّذِي كَانَ مِنْهُ فِي حَقِّ عُثْمَانَ تَمَغْفُلٌ وَتَأْلِيبٌ، فَعَلَهُ بِاجْتِهَادٍ، ثُمّ تَغَيّرَ عِنْدَمَا شَاهَدَ مَصْرَعَ عُثْمَانَ، فَنَدِمَ عَلَى تَرْكِ نُصْرَتِهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وَكَانَ طَلْحَةُ أَوّلَ مَنْ بَايَعَ عَلِيّاً، أَرْهَقَهُ قَتَلَةُ عُثْمَانَ، وَأَحْضَرُوهُ حَتّى بَايَعَ.

استشهاده

التَقَى القَوْمُ يَوْمَ الجَمَلِ، فَقَامَ كَعْبُ بنُ سُورٍ مَعَهُ المُصْحَفُ، فَنَشَرَهُ بَيْنَ الفَرِيْقَيْنِ، وَنَاشَدَهُمُ اللهَ وَالإِسْلاَمَ فِي دِمَائِهِمْ، فَمَا زَالَ حَتّى قُتِلَ.

وَكَانَ طَلْحَةُ مِنْ أَوّلِ قَتِيْلٍ.

وَذَهَبَ الزُّبَيْرُ لِيَلْحَقَ بِبَنِيْهِ، فَقُتِلَ.

عَنْ عَوْفٍ، حَدّثَنِي أَبُو رَجَاءَ، قَالَ :

رَأَيْتُ طَلْحَةَ عَلَى دَابّتِهِ، وَهُوَ يَقُوْلُ : أَيُّهَا النّاسُ أَنْصِتُوا، فَجَعَلُوا يَرْكُبُوْنَهُ وَلاَ يُنْصِتُوْنَ.

فَقَالَ: أُفٍّ ! فَرَاشُ النّارِ، وَذُبَابُ طَمَعٍ .

عَنْ حَكِيْمِ بنِ جَابِرٍ قَالَ :

قَالَ طَلْحَةُ: إِنّا دَاهَنّا فِي أَمْرِ عُثْمَانَ، فَلاَ نَجِدُ اليَوْمَ أَمْثَلَ مِنْ أَنْ نَبْذُلَ دِمَاءَنَا فِيْهِ، اللّهُمّ خُذْ لِعُثْمَانَ مِنّي اليَوْمَ حَتّى تَرْضَى .

عَنْ قَيْسٍ، قَالَ :

رَأَيْتُ مَرْوَانَ بنَ الحَكَمِ حِيْنَ رَمَى طَلْحَةَ يَوْمَئِذٍ بِسَهْمٍ، فَوَقَعَ فِي رُكْبَتِهِ، فَمَا زَالَ يَنْسَحُّ حَتّى مَاتَ.

رَأى عَلِيٌّ طَلْحَةَ فِي وَادٍ مُلْقَىً، فَنَزَلَ، فَمَسَحَ التُّرَابَ عَنْ وَجْهِهِ ،

وَقَالَ: عَزِيْزٌ عَلَيّ أَبَا مُحَمّدٍ بِأَنْ أَرَاكَ مُجَدّلاً فِي الأَوْدِيَةِ تَحْتَ نُجُومِ السّمَاءِ، إِلَى اللهَ أَشْكُو عُجَرِي وَبُجَرِي .

قَالَ الأَصْمَعِيُّ: مَعْنَاهُ : سَرَائِرِي وَأَحْزَانِي الّتِي تَمُوجُ فِي جَوْفِي.

ورضي الله عن هذا العملاق الجليل نسأل ان يحشرنا معه ومع النبي الأمين .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كاتب المقالة : الشيخ / محمد فرج الأصفر

تاريخ النشر : 09/11/2010
من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفر
رابط الموقع : www.mohammdfarag.com